(هذه المقالة كتبتها بدموعي التي تساقطت على لوحة المفاتيح دون توقف.. فهل ستشعر -عزيزي القارئ- بصدقها؟)

كذبت.. والله ما علمنا عليه إلا خيرا

هناك من يصرّ على ألا يفتح عقله وقلبه لما يقال ويُكتب.. بعدما كتبت مقال الحب في الله "بالأبونيه"، والذي كانت خلاصته: أن أخي هو أخي أحبه في الله سواء ترك الشركة أو المصنع الذي كنا نعمل فيه سوياً أو ترك الجماعة التي أحببنا بعضنا بين جنباتها.

فحبنا في الله فطري نقي لا يلوّثه اختلاف الأفكار والتوجهات ما دامت لا تغضب الله -عزّ وجلّ- وما دام الاختلاف في أمور تحتمل الاجتهادات وتعدد الآراء، ولا تخالف الدين والشرع..

كتبت تعليقات عديدة في الكثير من المواقع والمنتديات التي نشر فيها، إلا أن هناك تعليقاً استوقفني؛ لأنه لأخ في فريق الإشراف على أحد المواقع المهمة.. وله الحرية والتقدير فيما يقول.. ولي أيضاً أن أفنّد ما يقول الأخ الكريم الذي كتب يقول:

(١) عندما يشنّع البعض على جماعتي ويطعن في قيادتي -مسميا هذا نقدا!- فليس من حقه سوى أن يطالنبي بالإنصاف في محاورته والتجرُّد في التعامل مع طرحه، أما الطعن والتجريح فلا يجتمعان مع الحب أبدا أبدا!!

(٢) حديثي ليس عن التباين واختلاف الرؤى والأفكار وتقييم المواقف.. أتكلم عن الهمز واللمز في القيادة والتشكيك فيها والطعن في دينها وأخلاقها واستغلال أحداث وأزمات للانقضاض عليها وتصفية حسابات، وبذل الجهد في تشويه صورتها وفضّ القواعد عنها.

(٣) اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك!

ومثل هذا الأخ الكريم يوضّح لنا إشكالية قد تلتبس على بعض منا وهي:

أننا لا بد أن نحرّر ما نقول من الأهواء والرغبات، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالحكم على الأشخاص من مواقفهم، ولا نصنع لأنفسنا موضوعاً وتحليلاً وحججاً تفصيلا على مقدار قناعتنا ورغبتنا بل وأحياناً نَزَقنا..

مثلنا تماماً مثل الجلاد الذي يعذّب ضحاياه ليل نهار، فهو يصنع عالمه بيده ويخياله لكي يبرر لضميره فيعذّب بمزاج!

فكما كتبت سابقاً.. أتكلم عن إخوة أحباء في الله اختلفوا معنا في الآراء.. في الأفكار.. في الوسائل اختلافا فكريا وليس اختلافا عقائديا أو اختلافا في المضامين..

حتى ولو انتقدوا بغرض التقويم والإصلاح للقيادة بل وللجماعة كلها..

فهؤلاء يا سيدي ليسوا مقدّسين وليسوا الإسلام، ولن ولم يُختزل الإسلام في قيادة أو في جماعة..

ويقرر الأخ الكريم أن الطعن والتجريح لا يجتمعان مع الحب أبداً!

وأتعجب من قال إن هذا طعن وتجريح؟

كيف يا سيدي سلّمت أن هذا طعن وتجريح؟؟

كيف أصدرت فرماناً أن الأمر كذلك؟ على أي منهج أو ميزان أو بوصلة وزنته وحددته؟

هل الطعن في تصرُّف أشخاص طعن في الدين؟

هل الطعن في الإجراءات خيانة للدين؟

بالله عليك أوضح لنا كيف كان طعناً؟

وأعطِنا المثال على ذلك، وكيف تفرّق بين الطعن وبين الرأي المخالف والنقد؟

وكيف يكون نقد أداء شخص تجريحا له؟

يا سادة نتكلم عن إخوة أفاضل نحسبهم على خير استفزتهم لائحة غير معتبرة أو طريقة انتخابات متعجلة.. أو إجراءات كانت غير منضبطة..

خلاف عادي في وجهات النظر.. إذن لماذا التشنج والتهويل والتخوين واعتبار الأمر خروجاً [illegible] وكأنها مسيرة وانفتحت؟؟ مقالات وتصريحات وقرارات واستدلالات وأمور لا أريد أن أخوض فيها الآن على الأقل..

وأهمس في أذن أخي وأقول له: تقول: انقضاض... وتصفية حسابات وفضّ القواعد... أعتقد أن هذه كلمات انفعالية غير مبررة، لا أريد أن أعقّب عليها؛ لأننا يا سيدي لسنا في حرب، وإنما أكرر هذا اختلاف رؤى وأفكار...

وأخيراً يختتم أخونا الكريم تعقيبه بدعاء:

"اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك"!

وأعتقد أنه استحضر هذا الدعاء لكي يوضِّح أن القلب يتَّجه على غير رغبته للمحبين المخلصين، وليسوا الوحشين أصحاب الطعن والتجريح!

وليسمح لي أخي أن أقول له إن هذا استدلال فاسد، وهو دعاء سيدنا رسول الله عند تعدد الزوجات، فهو يقوله؛ لأنه بطبيعة النفس تميل ولو قليلاً لواحدة على حساب الأخرى... ولكن الأخ الكريم يريد أن يُفحمنا في الردّ ويظلمنا ويظلم نفسه، ولا يريد أن ينظر للمضمون ويناقشه لله نقاشاً موضوعياً، ويجهد نفسه قليلاً فيضبطه بالشرع والدين والأخلاق.

وليسمح لي أخي أن أعيد عليه قصة مهمة ربما سمعها كثيراً حتى يحاول أخي الكريم أن يفهم أن عمل "Delete" على أي أخ حتى ولو ضبطته متلبساً بالتهم الذي تدعيها ليس بالأمر الهين والسهل.

فعندما بلغ سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منطقة تبوك قال وهو جالس بين أصحابه:

ما فعلَ كعب؟

فقال رجل من بني سلِمة: يا رسول الله حبسَه بُرداه ونظره في عطفيه (أي إعجابه بنفسه).

فقال معاذٌ بن جبل وقد استنكرَ الأمرَ، وهو يعلم من أخيه ما يعلم: بئس ما قلت، واللهِ يا رسولَ الله ما علمنا عليه إلا خيرا. فسكتَ صلى الله عليه وسلم، وفي رواية قيل إنه سُرَّ وجهه.

إن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- لم يسَعْه السكوت وهو يرى من ينال من عِرضِ أخيه المسلم (المتخلِّف عن الجهاد وليس الذي طعن أو جرح في القيادة) فبادرَ بالإنكار، لم تغلبه المجاملة فيسكتَ كما يفعلُ البعض، كيف يسكت وهو يعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ردَّ عن عِرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة"، وفي رواية: "من ردَّ عن عِرض أخيه كان له حجابا من النار"، وفي رواية: "من أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره

أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة".

يا سادة نحن تكلم عن صحابي تخلَّف ضمن ثلاثة عن الجهاد في سبيل الله...

أكرر: الجهاد.. الجهاد..

والرسول يسأل فيسكت، ويُسرُّ لردِّ غيبة الأخ في مجلسه.

لكن ما أسهل الكلام والعبارات هذه الأيام...

فهذا يريد أن يفسِّر أو يوضِّح الرؤية لما يحدث من اختلاف في الآراء والتوجهات، فيستخدم عبارات لو مُزِجت بماء البحر لمزجته:

فهذا ضيَّع جهاده.. وهذا بعيد عنا... وهذا فُتِن... وهذا فرَّط.. وهذا خرج عن الجماعة... إلخ العبارات التي توغر الصدور وتقتل بدم بارد أهم ما يميز الدعوة في سبيل الله من إخوة وحب في الله...

لذلك أدعو أخي الكريم كاتب التعليق محور مقالي اليوم أن يردد معي مقولة سيدنا معاذ بن جبل:

"كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه فُتِن بالأضواء، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه يشقُّ الصفَّ، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أن الأمن يستخدمه، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه يحب الظهور الإعلامي، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه يتطلع للمناصب، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه بعيد عنا، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أن له أجندة أمريكية، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

كذبت وبئس ما قلت عن أخي أنه يضيّع الجماعة ويسعى لهدمها، والله ما علمنا عليه إلا خيرا..

أختم كلامي بنصيحة لي قبل الآخرين بأن نتريّث قليلاً في الحكم على الأمور فلسنا في مباراة كرة قدم كل يشجّع وينحاز لما يحبه ويعتقده، ولكننا نشجّع الحقيقية والمصلحة.. ندور معها أينما دارت..